الإطالة في نظريـة النحو التوليدي التحويلي
نمـاذج تطبيقية على اللغة العربية

حميدي بن يوسف
جامعة يحيى فارس
المدية - الجزائر

الملخّــص

الإطالــة أو التكراريــة (Récursivité) ظاهــرة لســانية تتميــز بهــا اللغــات البشريـة، ويقصـد بهـا قـدرة الـشيء عـلى التكـرار إلى مـا لا نهايـة. وعـلى الرغـم مـن أنّ هـذا المفهـوم يسـاهم في الكشـف عـن خبايـا بنيـة النظـام اللغـوي، في مسـتواه التركيبـي خاصـة، فـإن المطّلـع عـلى مختلـف موضوعـات الدارسـين اللسـانيين يـرى بأنـه لم يُلتفـت كثـيرا إلى هـذه الظاهـرة. ومـن بـين الذيـن تفطّنـوا إلى طابعهـا الـكلّي وأهميتهـا القصـوى في تفسـير بنيـة اللغـات اللسـاني الأمريـكي نـوام تشومسـكي الـذي حـاول في مؤلفاتـه الأولى أن يفـسّر جـزءا مـن المظهـر الإبداعـي للغـة بالاسـتناد إلى ظاهـرة الإطالـة.

تعـد هـذه الدراسـة محاولـة لتطبيـق مفهـوم الإطالـة في بعدهـا التوليـدي عـلى اللغـة العربيـة، وذلـك مـن خـلال التعـرّض لأبـرز مظاهرهـا (مثـل الإطالـة بالعطـف، وبالتضمـين، وبالإضافـة). ونسـتهدف مـن وراء هـذا التطبيـق معرفـة كيفيـة اسـتجابة العربيـة لهـذا المفهـوم التوليـدي. أمّـا نتائـج هـذا التطبيق فقد أكّـدت ذلـك الانسـجام الوثيـق الموجـود بـين المفاهيـم التوليديـة التحويليـة، كـما أنّـها كشـفت عـن ذلـك التراتـب المنتظـم بـين المسـتويات اللغويـة.

الكلمات المفاتيح:
الإطالة - الإبداعيّة - الملكة - اللانهاية - العطف - التضمين.

Résumé

La récursivité est un phénomène langagier marquant les langues naturelles. Ce n'est autre que la capacité qu'a un élément à se répéter à l'infini. Ce concept contribue sans doute à dévoiler les secrets de la structure du système langagier, mais il n'en reste pas moins que les linguistes lui ont guère accordé une quelconque importance dans leurs études.

Cependant, parmi ceux qui ont réfléchit à son importance capitale pour l'étude de toute langue est le linguiste Noam Chomsky. Ce dernier a essayé dans ses premiers ouvrages d'expliquer l'aspect créatif de la langue dans son ensemble en s'appuyant sur le phénomène de la récursivité. La présente étude est une tentative visant à appliquer ce concept et ses différentes performances sur la langue arabe (récursivité linéaire, récursivité par enchâssement et récursivité par intégration). En effet, Les résultats tirés d'une telle application ont révélé l'existence d'une parfaite concordance entre les notions génératives transformationnelles de même qu'une interférence systématique entre les différents niveaux de la langue.

Mots-clés

Récursivité - créativité - compétence - infinité - coordination - enchâssement.

Abstract

Recursivness is a linguistic phenomenon characterizing natural languages. It is a capacity that disposes an element to be repeated ad infinitum .This concept contributes certainly to reveal the secrets of the structure of the language system.

However, linguists hardly ever gave any importance to this concept in their studies. Among the linguists who thought about its major importance for the study of language is Noam Chomsky. This latter tried in his first works to explain the creative aspect of language basing on the phenomenon of recursiveness.

The present study is an attempt to apply this concept as well as its performances on the Arabic language (linear recursivity, recursivity by embedding, and recursivity by integration). In fact, the results obtained from such an application revealed the existence of a perfect accord among the generative transformational concepts as well as a systematic interference among the different levels of language.

Keywords

Recursiveness - creativity - competence - infinity - coordination - embedding.

مقدّمة

نسعى في هذا المقال إلى دراسة ظاهرة الإطالة في اللغة (La récursivité) عند أحد أقطاب الفكر اللساني الحديث نوام تشومسكي، وعلى الرغم من أنّ أغلب الباحثين اللسانيين المعاصرين لم يولوا هذه الظاهرة عناية كبيرة، إلا أنها شكّلت أحد النقاط الهامة التي تفسّر جانبا من جوانب اللغة عند قلّة منهم، ولا بدّ أنْ نشير في هذا السياق إلى ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، حيث أفرد فصلا خاصّا لدراسة هذه الظاهرة، وذلك بالاستناد إلى مفاهيم النظرية الخليلية الحديثة[1]. سنحاول في هذا المقال معرفة مدى استجابة اللغة العربية لهذا المفهوم التوليدي من خلال عرض بعض النماذج التطبيقية.

1. مفهوم الإطالة عند تشومسكي

تعد الإطالة من بين المفاهيم الأساسية التي استند إليها تشومسكي في بناء نظريته، وخاصة فيما يتصل بالمنطلق التنظيري؛ فهذا اللساني يفسر المظهر الإبداعي للسان، المتمثل في عملية إحداث ما لا نهاية له من الجمل من حيث الطول والعدد، بالرجوع إلى خاصية الإطالة.

ويقصد بالإطالة في النحو التوليدي التحويلي تلك الخاصية [اللغوية] التي يمكن أن تتكرر بصفة لا نهائية[2]. ومن خلال استقراء عدد من التعريفات الموضوعة لهذا المفهوم وجدنا أنها تتفق في عنصر التكرار؛ أي أن هنالك عمليات تحويلية متماثلة ومتتابعة تحدث للجملة أثناء إطالتها وتكسبها صفة اللانهائية. ووفقا لذلك فإن العنصر اللغوي الذي يمتلك خاصية الإطالة "هو العنصر الذي يمكن له أن يظهر بعدد غير محدود من المرات في السلسلة اللغوية نفسها"[3].

وما يجب التنبيه إليه هو أن تفسير حدوث الإطالة في النظرية المعيارية المجسَّدة في كتاب تشومسكي الموسوم بـ "مظاهر النظرية التركيبية" Aspects of theory of syntax الصادر سنة 1965 تغيّر عما كان عليه في كتابه السابق Syntactic Structures الصادر سنة 1957، فبينما كانت تعتبر في السابق مظهرا من مظاهر

التحويلات المعممة، أصبحت في النظرية المعيارية تحدث في المستوى التركيبي، وانفصلت العلاقة بينها وبين التحويل تماما.

وقبل أن نتعرض إلى الإطالة في مختلف مظاهرها، قبل تعديل النظرية وبعده، يجدر بنا أن نناقش موضوع "**اللانهاية**" التي يمكن أن يصل إليها طول الجملة. ويعد الوقوف عند هذه النقطة أمرا ضروريا؛ لأنها كانت محل خلاف بين عدد من اللسانيين، وقد نتج عن هذا الخلاف مجموعة من الانتقادات وُجهت إلى تشومسكي، لعل أبرزها تلك التي صدرت عن (هوكيت Hockett)*.

2. مفهوم اللانهاية

يحاول تشومسكي إثبات لانهائية المجموعة؛ ولأجل ذلك يجب أن تحتوي المجموعة (م) على عنصر على الأقل (أي أن م ≠ Ø)، وبأن تشتمل هذه المجموعة على قانون تركيبي يسمح بإنتاج عنصر آخر داخل المجموعة (م)[4].

وإذا أسقطنا هذا المفهوم على الظاهرة اللغوية يتبين بأن المقصود بالعنصر هنا هو الجملة، ومن ثم فإنّ كل لسان يحتوي على جملة على الأقل، وهذا أمر طبيعي. وبتطبيق العمليات التركيبية المشار إليها نحصل على مجموعة غير منتهية. ويمكن تمثيل اللانهائية بواسطة السلسلة الموالية:

5

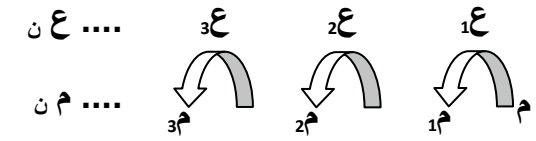

يضيف تشومسكي - تأكيدا لهذه اللانهاية قائلا: "ففي المقام الأول يتضح جيدا أنّ مجموع المظاهر الصوتية والدلالية المقترنة والمفرّعة بواسطة النحو هي غير منتهية، إذ لا يمكن في أي لسان بشري اعتبار جملة ما على أنها أطول جملة دالة"[6].

ولقد قوبل مفهوم اللانهائية عند شومسكي بالنقد من طرف هوكيت؛ فهوكيت يرى بأنه من السهل كتابة بداية سلسلة من الجمل تنتمي إلى الإنكليزية (...)

[ولكنّه] إذا كانت الجمل الأولى من السلسلة كلها إنكليزية، فإن الجملة رقم ألف أو بليون... تكون من وجهة نظر تجريبية مستحيلة[7].

والحقيقة أن هذا النقد يكون صائبا في حالة ما إذا كانت هذه الجمل محققة فعلا (أي في مستوى التأدية)، فجملة من ثلاثمائة صفحة -مثلا- هي صعبة الاستحسان. ولكن إذا حكمنا على قول تشومسكي بالقياس إلى الملكة، لا بالقياس إلى التأدية، فإنه يعتبر صحيحا. إذن فالإشكال مرتبط بمدى استحسان بعض الجمل اللسانية، ثمّ إنّ اعتبار عدد من الجمل غير مستحسن أو مستعمل فعلا، لهو مستقل عن سلامتها النحوية والدلالية، ومن ثم يمكن القول بأن اللسان يحتوي حقيقة على عدد لا نهائي من الجمل، ولكن بعضها غير مستعمل لأي سبب من الأسباب السابقة[8].

وضمن السياق ذاته أشار ألان بيروندوني (Berrendonner) إلى أن لامحدودية الإطالة عند تشومسكي تكون في مستوى الملكة وليس في مستوى التأدية. كما أنّه وافق تشومسكي في أن محدودية الإطالة عند التأدية لا ترجع إلى القدرات اللسانية وإنما إلى الذاكرة ودرجة التركيز وغيرهما، ولكنه انتقد نظرية النحو التوليدي التحويلي من حيث إنها أقصت هذه الحقائق من ميدان عملها[9].

3. المستوى اللغوي الذي تحدث فيه الإطالة

هنالك قضية تتصل بالإطالة، وتتمثل في المستوى اللغوي الذي تحدث فيه. والسؤال الذي يواجهنا هنا هو: هل أنّ الإطالة مقتصرة على المستوى التركيبي من اللغة أم تتعداه لتشمل المستوى الإفرادي كذلك؟

والحقيقة أن النظرة الأولى لظاهرة الإطالة تقضي بأنّها تتم في المستوى التركيبي للغة، لا سيما وأنّها ترتبط بمفهوم اللانهائية، فهي تحدث انطلاقا من تكرار الجمل أو التراكيب الجملية، غير أن هنالك من الباحثين من يرى بأن الإطالة تكون أيضا في مستوى المفردات من خلال تكوين كلمات بالاشتقاق، ويضرب لذلك مثلا بالإطالة التي تحدث في السلسلة الاشتقاقية التالية:

Profession → Professionnel → Professionnaliser → Professionnalisation

ويسمي ذلك بالإطالة الاشتقاقية[10].

وعند التأمل في هذا الانتقال، نلاحظ ظهور لفظ Profession في كل مرة، وهذا ما يمنحها صفة التكرارية، التي تعد خاصية جوهرية من خصائص الإطالة. كما يلاحظ أيضا وجود تزايد في عدد المورفيمات عند الانتقال من الكلمة الأولى إلى الثانية ومن الثانية إلى الثالثة وهكذا، وذلك ما يدفعنا إلى القول بوجود إطالة.

ولكن إذا أخذنا بمفهوم الإطالة في نظرية النحو التوليدي التحويلي والذي يتصف باللانهائية، فإنه يتعذر إسقاط الحكم السابق على المستوى الإفرادي من اللغة، إذ لا يمكن بالطريقة السابقة تجاوز عدد محدود من الكلمات المطالة، ومن ثم فلا يمكن تحقيق هذه الإطالة لا في مستوى الملكة ولا في مستوى التأدية. ويكفي أن نعرّف هذه الظاهرة بأنها اشتقاق كما يرى ذلك عبد الرحمن الحاج صالح*.

4. الإطالة من خلال كتاب البنى التركيبية

يعتبر التحويل العنصر الأهم في كتاب البنى التركيبية ذلك لأنه يفسر من خلاله بنية أي جملة. وبعبارة أخرى يمكن القول إن الجمل كلها ـ نواةً كانت أو مشتقة**ـ ناشئة عن عمليات تحويلية. أما الإطالة فإنها تقتضي ضم الجمل إلى بعضها أو اندراجها بعضها داخل بعض، فيتم الانطلاق من جملتين أو أكثر وصولا إلى جملة مركبة بتطبيق التحويلات المعممة، وهذا يؤدي بنا إلى القول بأن الإطالة نوع من التحويل، وبالنظر إلى بنية الجمل في كل لسان يظهر لنا أن الإطالة تتجسد في أحد المظهرين التاليين: **الإطالة بالعطف، والإطالة بالتضمين**.

1.4. الإطالة بالعطف

الإطالة بالعطف هي عبارة عن تحويل تنضم فيه جملة أو أكثر إلى جملة أخرى على الأقل بالاعتماد على حروف العطف المحدودة في كل لسان. ويمكن في هذا النوع من الإطالة أن تعطف لا الجمل فحسب بل حتى أجزاؤها، ويستثنى من ذلك المورفيمات النحوية* التي لا يمكن أن تكون موضوع إطالة[11].

1.1.4. الإطالة بعطف الجمل

يحصل عطف الجمل على بعضها بإجراء تحويل معمَّم بسيط ينتهي باقتران جملة (أو أكثر) بجملة (أو أكثر) دون أية عملية تحويلية اختيارية أخرى. ويعد الإجراء الإطالي وفق هذه الصورة العطفية بمثابة جمعٍ للجمل وضمٍّ لها لا غير. وتمثيلا على ذلك، يمكن اعتبار الجملة المركبة التالية: **رحل زيد وبقي عمرو** تجسيدا لهذه الإطالة.

وإذا أردنا أن نطيل هذه الجملة بالعملية نفسها، يكفي أن نعطف جملة أو مجموعة من الجمل الأخرى عليها وهكذا حتى تصل إلى طول غير محدود في مستوى الملكة. ويفسر روفي (Ruwet) الخاصية اللانهائية التي يوفرها العطف "بعدم وجود حدٍّ لعدد المكونات ذات الجنس الواحد التي يمكن أن تُعطف"[12]. وتوضيحا لذلك، يمكن صياغة هذا النوع من الإطالة بالعطف بالعلاقة التالية:

(ج1، ج2،.....جن-1 جن ← الإطالة عن طريق العطف بالواو ج1 وج2 و..... جن-1 وجن)

وما يجب التنبيه إليه هو أنه في الإطالة بالعطف «يجب أن تكون للعناصر اللغوية المعطوفة البنية نفسها[13]، أي أن الإطالة تحدث بعطف الجمل الاسمية على الاسمية والفعلية على الفعلية لإنتاج جمل مركبة. أما صياغة الإطالة بالعطف على شكل شجرات تركيبية فتظهر كالآتي:

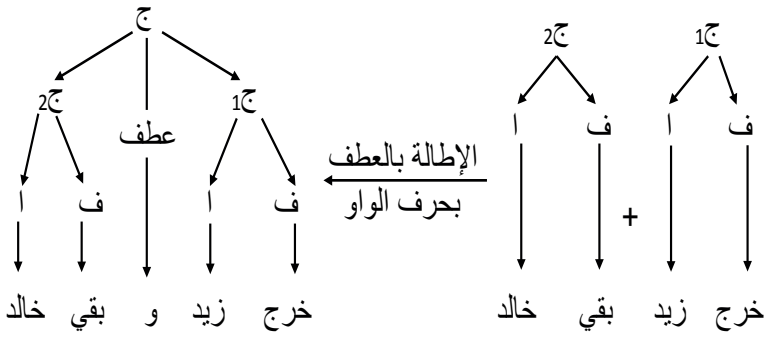

هـذا التركيـب الشـجري هـو صياغـة للإطالـة بعطـف جملتـين. وباتبـاع الطريقـة نفسـها يمكـن أن نعطـف ثـلاث جمـل أو أكـثر، ولـكي نولّـد عـددا لا نهائيـا مـن الجمـل "يجـب أن نسـمح لقواعـد مـن الشـكل:

ج ← (ج$_1$ و ج$_2$) أو (م ا ← م ا$_1$ و م ا$_2$)

أن تطبق بصفة تكرارية" [14].

2.1.4. الإطالة بعطف أجزاء الجملة

يحـدث هـذا النـوع مـن الإطالـة بعطـف اسـم عـلى اسـم كقولنـا: **خـرج عمـرو وزيـد**. ويمكـن إطالـة هـذه الجملـة بعطـف أسـماء أخـرى عـلى زيـد وعمـرو كـما في **خـرج عمـرو وزيـد و خالـد وسـعيد و...**، أو عطـف فعـلٍ عـلى فعـلٍ كـما في قولنـا **خـرج زيـد ثـم دخـل،** ثـم إطالتـه إلى حـدٍّ أكـبر بعطـف أفعـال أخـرى عـلى **خـرج ودخـل** كـما في **خـرج زيـد ثـم دخـل وجلـس فقـام ...**

والملاحـظ عـلى أن عمليـة العطـف السـابقة تبـدو في ظاهرهـا بأنهـا عطـفٌ لأجـزاء الجملـة، ولكنهـا في الحقيقـة مـا هـي إلا عطـف للجمـل[15]، فجملـة **خـرج عمـرو وزيـد** هـي في الحقيقـة مركبـة مـن جملتـين وهـما **خـرج عمـرو خـرج زيـد** خضعتـا لتحويـل بالعطـف (بحـرف الـواو) ولتحويـل ثـان حـذف العنـصر **خـرج** مـن الجملـة. ونسـتطيع كتابـة هـذا المثـال عـلى الشـكل التـالي:

خرج عمرو + خرج زيد ← خرج عمرو وØ زيد

يتميـز عطـف أجـزاء الجمـل عـن عطـف الجمـل بكونـه يُرفَـق بعمليـة حـذف لـكل عنـصر متماثـل في الجملتـين[16]. ويكـون التمثيـل الشـجري للجمـل المطالـة بعطـف أجـزاء الجملـة كـما يـأتي:

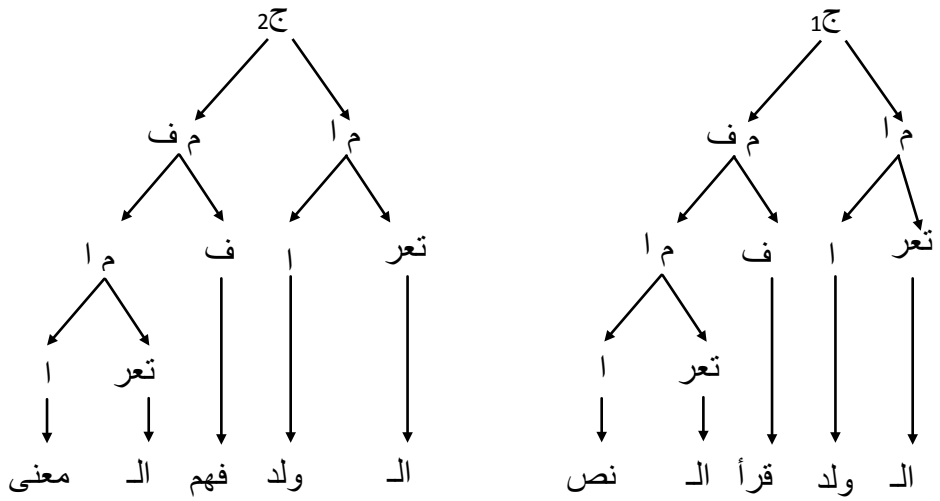

وعطـف هاتـين الشـجرتين التركيبيتـين بحـرف الـواو ينتـج الشـجرة التركيبيـة المُطالـة التاليـة:

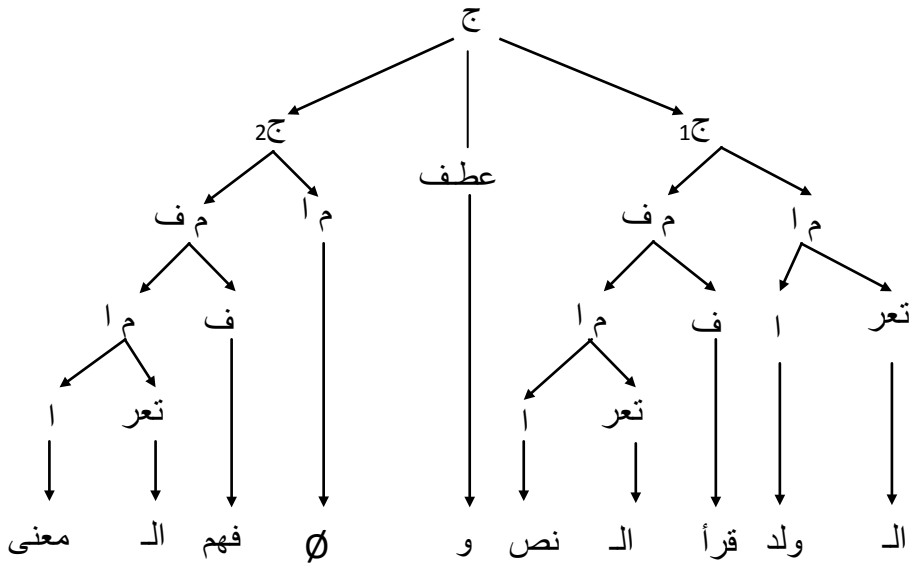

ويمكـن بهـذه الطريقـة أن نعطـف ثـلاث جمـل أو أكـثر، فتتحـول الجملـة المركبـة السـابقة بإضافـة **الولـد اسـتنتج الفكـرة العامـة**، إلى جملـة مطالـة أخـرى تكتـب كـما يـلي: **الولـد قـرأ النـص وفهـم المعنـى ثـم اسـتنتج الفكـرة العامـة** وهكـذا. أمـا الصياغـة

الشجرية فيتم فيها إضافة مركب إسنادي آخر إلى جانب المركبين السابقين ويقترن بالثاني بحرف عطف.

2.4. الإطالة بالتضمين

تحدث الإطالة بالتضمين عن طريق إدراج جملة أو أكثر داخل جملة أخرى "وتسمى الجملة المتضمَّنة بـ**الجملة المكوِّنة** والجملة المتضمِّنة لها بـ**الجملة الأصلية**. وعن طريق الإطالة تصبح الجملة المكوِّنة بدورها جملة **أصلية**، إذ يمكن لها أن تتضمن جملة أخرى وهكذا"[17].

والإطالة بالتضمين في نظر تشومسكي هي نوع من التحويل المعمم، حيث يُنطلق فيه من جملتين على الأقل تندرج الواحدة داخل الأخرى من أجل إنتاج جملة مركبة. و"إعادة تطبيق التحويل بالتضمين يسمح بتوليد عدد لا نهائي من الجمل"[18].

• ويمكن صياغة الإطالة بالتضمين **بقاعدة أولى** تعيد كتابة الجملة **ج** بواسطة الرمزين **س** و **ع** (**ج ← س ع**) و**قاعدة ثانية** تدمج جملة ثانية ضمن **س ع**، أي (**ج ← س ج ع**)، وبتعويض ج بما تساويه نحصل على (**ج ← س س ع ع**). وبإعادة تطبيق القاعدة بصورة متكررة ومتتالية نستطيع توليد جمل غير متناهية عددا وطولا.

ومعرفة كيفية حدوث الإطالة عن طريق التضمين بصفة أكثر تفصيلا يستدعي منا دراسة بعض أنواعها ثم محاولة تطبيق ذلك على بنية اللغة العربية.

1.2.4. الإطالة عن طريق الربط بالموصول

تتم هذه الإطالة باللجوء إلى تضمين جملة داخل أخرى باستعمال الأسماء الموصولة كالذي و**التي** في العربية أو qui في الفرنسية أو who في الإنجليزية.

نعتبر الجملتين العربيتين التاليتين: **ج$_1$: الرجل غادر المنزل / ج$_2$: الرجل أكرم زيدا**. ونستطيع أن نطبِّق على هاتين الجملتين عملية الإطالة عن طريق الربط باسم الموصول **الذي**، فتنتج الجملة المركبة: **ج = الرجل الذي أكرم زيدا غادر المنزل**.

ويمكن شرح المسار التحويلي لـ **ج** كما يأتي:

تعتبر الجملة **ج$_1$ (الرجل غادر المنزل)** جملة أصلية أُدرجت ضمنها الجملة المكوّنة **ج$_2$ (الرجل أكرم زيدا)**، وعن طريق حذف العنصر المتماثل **(الرجل)** وتعويض ذلك بالاسم الموصول تنتج الجملة المركبة ج. وبالطريقة نفسها نستطيع أن نضمِّن الجملة المكوّنة السابقة ج$_2$ جملةً أخرى مثل **ج$_3$: زيد قدم** فتصبح **ج$_2$** بدورها جملة أصلية. وتنتج في الأخير جملة مركبة من ثلاث جمل وهي: **ج: الرجل الذي أكرم زيدا الذي قدم غادر المنزل**.

وبهذه الطريقة التي تعتمد تضمين كل جملة سابقة جملةً لاحقة يمكن إطالة الجملة إلى طول لا نهائي في مستوى الملكة دائما، وفي ذلك أيضا إنتاج لعدد غير منته من الجمل. أما الصياغة الشجرية للأمثلة السابقة فيظهرها الرسم التالي: **(م ص: مركب وصلي ص: اسم موصول)**.

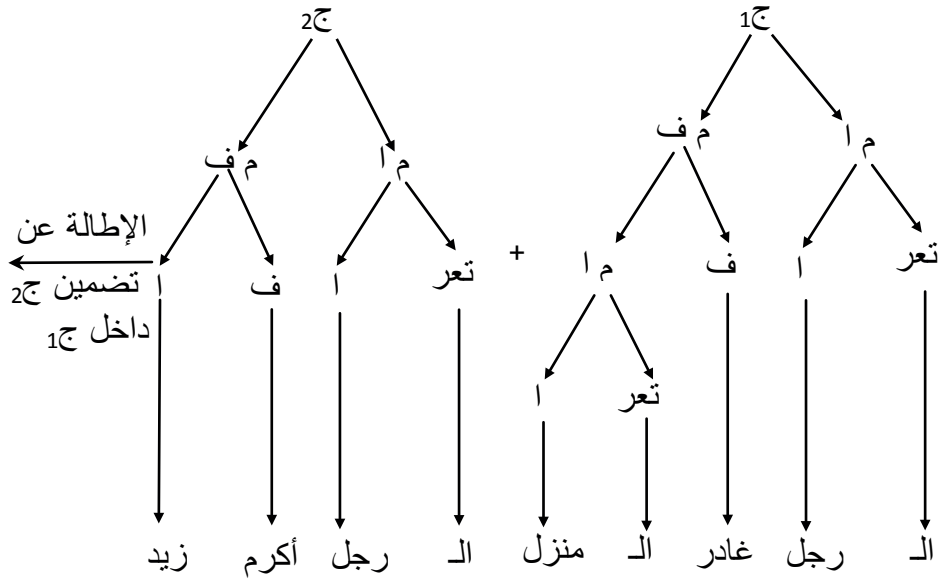

وبزيادة **ج3** إلى الشجرة التركيبية السابقة تنتج لنا الشجرة التالية:

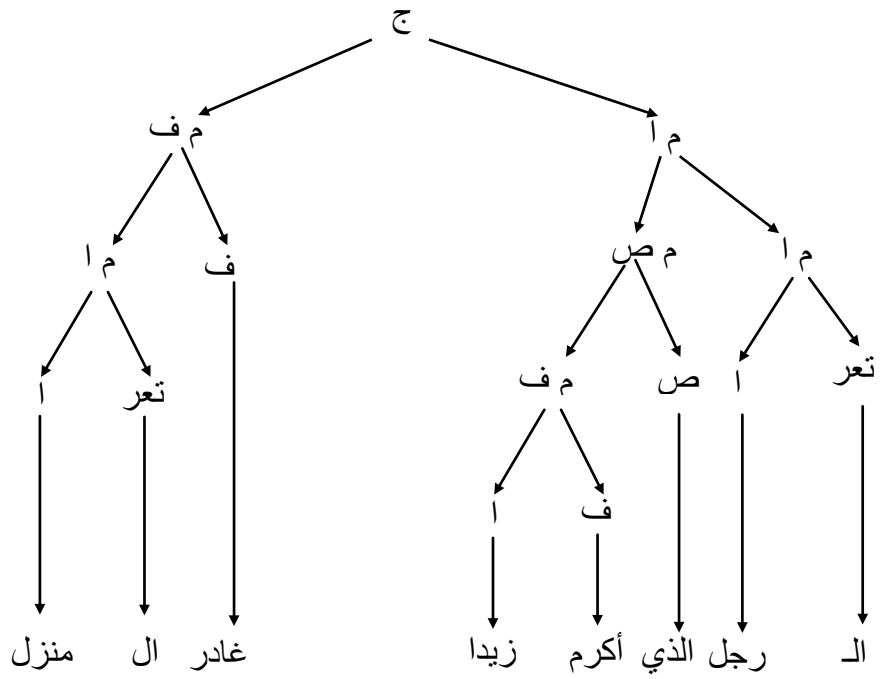

يلاحَظُ في الجزء الأيمن من هذه الشجرة أن المركب الموصول **(م ص)** اشتمل على مركب فعلي **(م ف)** الذي بدوره اشتمل على مركب اسمي، وهذا الأخير تفرع عنه مركب **(م ص)**. وبعلاقة منطقية متعدية يمكن القول: إنَّ **(م ص)** اشتمل على **(م ص)** أي احتواه، وهذا دليل على وجود عملية إطالة بالتضمين، ووفقا لذلك يرى روفي (Ruwet) "أنّ عنصرا ما يمتلك خاصية الإطالة إذا **احتوى نفسه** عند عملية التفريع"[19].

2.2.4. الإطالة بالإضافة

لا نقصد بالإضافة هنا مطلق الزيادة، إنما نقصد بها الزيادة التي يتحدد بها الاسم عن طريق التركيب الإضافي[20]، حيث يتم الانتقال من جملة إلى أخرى بزيادة العنصر اللغوي المتمثل في **المضاف إليه**. فالانطلاق - مثلا- يكون من جملة **هذا كتاب**، وبزيادة **مضاف إليه** في كل مرة نحصل على السلاسل التالية:

1- هذا كتاب.

2- هذا كتاب الأستاذ.

3- هذا كتاب أستاذ اللسانيات....

وبتكرار هذه الزيادة تطال الجملة إلى مستوى غير محدود. ويمكن أن نمثّل لهذا النوع من الإطالة في اللغة الفرنسية بالسلاسل التالية:

1- Le cours est facile.

2- Le cours de linguistique est facile.

3- Le cours de linguistique de cette séance est facile....

وبخصوص التركيب الشجري فصياغته تظهر من خلال الأشكال الموالية: (**مس: مسند، مس ا: مسند إليه، م ض: مركب إضافي**)

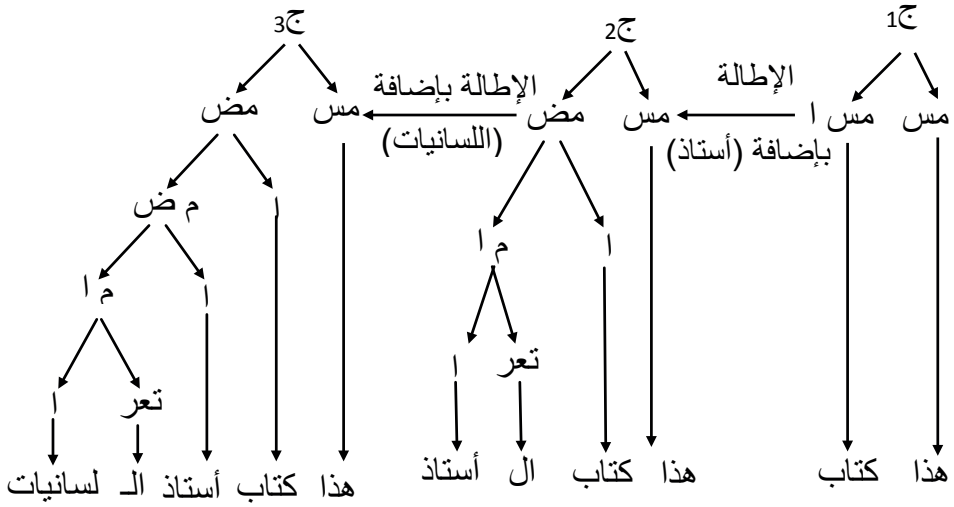

ويظهر لنا من خلال الرسم أنّ المركب الإضافي **(م ض)** تفرّع عنه مركب إضافي آخر، وهذا دليل على وجود تضمين، فالعنصر **(م ض)** احتوى نفسه. والملاحظ أيضا على التركيب الشجري أنه يشبه إلى حدٍّ كبير التركيب الشجري الخاص بالتضمين عن طريق الربط بالموصول، ولذا ينبغي طرح السؤال حول العلاقة بين هذين النوعين من التضمين.

إنّ العلاقة بين التركيب الموصول والإضافي هي علاقة تحويل لا غير، إذ إنّ الجملة المركبة بالإضافة ما هي إلا جملة موصولة مختزلة[21]. واستنادا إلى هذا الحكم يمكن القول بأن الجملة العربية **هذا كتاب الأستاذ** ما هي إلا جملة محوَّلة عن **هذا الكتاب الذي هو للأستاذ** بتحويل تم من خلاله تبسيط الجملة بحذف عدد من عناصرها.

غير أنه ومن خلال اطلاعنا على عدد من الأمثلة التي تجسد هذا النوع من الإطالة، وجدنا أنها تتراوح بين إضافة **المضاف إليه** إلى التركيب كما في الأمثلة السابقة، وبين إضافة **المضاف** كما في السلسلة التالية:

Le libraire → La femme du libraire → La sœur de la femme du libraire[22]

ويلاحظ من خلال هذا المثال أنّ الإضافة حدثت في موضع سابق للاسم الأصلي (Le libraire)، وهذا على عكس الأمثلة السابقة التي كانت الإضافة فيها **بعدية**. ويمكن التمثيل للنوع الثاني من الإضافة في العربية بالانتقال بين الجمل التالية:

(أ) هذا كتاب (ب) ← هذا متن الكتاب (ج) ← هذا خط متن الكتاب ...

والإضافة كما يلاحظ في هذه الأمثلة **قبلية** (زيادة المضاف في كل مرة، وليس المضاف إليه).

يظهر من خلال الملاحظة السريعة أنّ هذين النوعين من الإضافة متماثلان؛ إذ يحدث في كل مرة تضمينٌ تكون العلاقة فيه هي الإضافة، إلا أنه ومن خلال التفحص في بنى الجمل المطالة بالإضافة يتبيّن أن الجملتين **(أ)** و**(ب)** السابقتين مختلفتان تماما ولا أثر لتحويل حاصل بينهما. وبتعبير آخر يمكن القول إن الجملة

(أ) ليست أصلا أو نواة (بتعبير التوليديين) للجملة **(ب)**؛ فإذا كان بناء الجملة في (أ) مرتكزا على "**كتاب**" فإنه في **(ب)** مرتكز على "**متن**" وفي **(ج)** مرتكز على "**خط**"، أي أنّ أصل الجملة يتغيّر في كلّ مرّة، ومن ثمّ فالتحويل بالإضافة غير متحقق. وهذا عكس الجملة التي تكون فيها الإضافة بعدية كما في الأمثلة أعلاه، حيث إنّ التركيز في بناء الجمل: "هذا كتاب" "هذا كتاب الأستاذ" "هذا كتاب أستاذ اللسانيات" منصب دائما على "**كتاب**". الذي يُعتبَر أصلا، ولم يتغيّر هذا الأصل، بالرغم من حصول الإضافة. إذن، فالتشابه في بنية جملتين (أو أكثر) لا يعني دائما أنّ إحداهما أصل للأخرى، وأنّ الثانية هي جملة مشتقة.

وقد يرجع هذا التوهّم إلى إهمال مفهوم جوهري مثل محور دوران تحليلات علماء اللغة العربية الأقدمين، وهو ذلك المتمثل في تحديد منطلق التحليل اللغوي أي **الأصل**، ثم التقيد بهذا الأصل عند الإطالة، وذلك من خلال **القياس** عليه*.

5. الإطالة من خلال النظرية المعيارية

لقد تغير مفهوم التحويل في النظرية المعيارية للنحو التوليدي التحويلي، إذ أصبح مقتصرا على نوع واحد هو الذي يربط بين البينة العميقة والبنية السطحية[23]. ويُقصد بهذا أنه لم تعد هنالك تحويلات معممة أو اختيارية، وكل ما أبقى عليه هو التحويل الإلزامي الذي يعمد إلى نقل الجملة من صورتها المجردة إلى صورتها المحسوسة. وإذا كانت الإطالة في النظرية الأولى عبارة عن تحويل يتم الانتقال فيه من شجرة أو أكثر إلى شجرة أخرى، فإنه بتغير مفهوم التحويل تغير معه مفهوم الإطالة «حيث أصبحت الخاصية الإطالية منسوبة إلى المكون التركيبي وليس التحويلي[24]؛ أي أنّ صياغتها تتم من خلال قواعد إعادة الكتابة أو شجرة التراكيب**

ولتوضيح الاختلاف في صياغة ظاهرة الإطالة ضمن النظرية المعيارية مقارنة مع الصياغة السابقة، فإننا نفضّل أن نعود إلى أحد الأمثلة التي عالجناها وفق مفاهيم النظرية الأولى، وليكن المثال المقترح هو جملة: **الرجل الذي أكرم زيدا غادر المنزل**، وهي جملة تتحقّق فيها ظاهرة الإطالة بالتضمين كما رأينا ذلك سابقا.

بتطبيق قواعد إعادة الكتابة على هذه الجملة تظهر الصياغة كما يلي:

1. جملة (ج) مركب اسنادي$_1$ (م س$_1$) + مركب اسنادي$_2$
2. مركب اسنادي$_1$ مركب اسمي+ مركب وصلي (م ص) (م س$_2$)
3. مركب اسنادي$_2$ ⟵ فعل (ف) + مركب اسمي (م ا)
4. مركب اسمي ⟵ تعريف (تعر) + اسم (ا)
5. مركب وصلي ⟵ اسم موصول (ص) + جملة$_1$ (ج$_1$)
6. جملة$_1$ ⟵ فعل + اسم
7. اسم ⟵ رجل منزل زيد
8. فعل ⟵ أكرم غادر
9. تعريف ⟵ الـ
10. اسم موصول ⟵ الذي

يُلاحَظ أن هذه السلسلة من القواعد أظهرت كل مكونات الجملة، كما أن القاعدة رقم (**5**) التي تفرعت عنها ج$_1$ هي التي تحدث في مستواها الإطالة على اعتبار أنّ المركّب الوصلي تضمّن جملة (**ج$_1$**). وإذا أردنا أن نعمّم هذا الحكم فإنه بإمكاننا أن نقول: إنه كلما وجدنا الرمز ج على يسار السهم، أي باعتباره مكوّنا ناتجا عن عملية إعادة الكتابة أدركنا أن هنالك إطالة. ويزداد الأمر وضوحا إذا مثلنا هذه القواعد بالتركيب الشجري التالي، حيث يظهر العنصر (ج) مكررا في أحد المستويات التفريعية الدنيا:

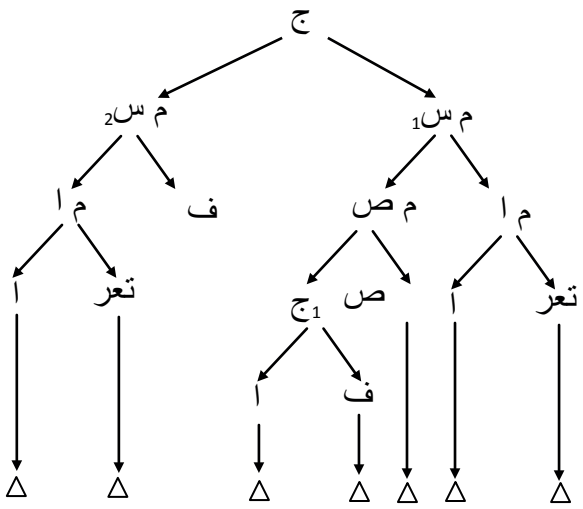

تُـظهر لنـا هـذه الشـجرة ظاهـرة الإطالـة مـن خـلال وجـود **ج**$_1$ ضمـن العنـاصر المتفرِّعـة عـن **ج** الأصليـة، وذلـك دون أيـة عمليـة تحويليـة. أمـا التحويـل فهـو عمليـة لاحقـة وهـو يقتـصر عـلى مـا هـو إلزامـي فقـط[25]، كتحويـل الفعـل مـن خـلال وضعـه في صيغتـه المناسـبة للحـدث الـذي تتضمنـه الجملـة (هنـا في هـذه الجملـة يطبـق التحويـل الإلزامـي عـلى الفعـل "**كـرم**" ـ مثـلا ـ فينقلـه إلى الفعـل المتعـدي **أكـرم**).

وتجـدر الإشـارة هنـا إلى أنّ تشومسـكي أكـد وجـوب ترتيـب التحويـلات، رغبـة منـه في تبسـيط النمـوذج[26]. وتبعـا لذلـك فـإن اسـتبدال الرمـوز يطبَّـق عـلى الجمـل المتضمَّنـة أولا (أي ج$_1$ في هـذا المثـال). ثـم تسـتبدل بعـد ذلـك رمـوز الجملـة المتضمِّنـة لهـا وهكـذا.

إذن فالتحويـل في هـذه المرحلـة مـن مراحـل نظريـة النحـو التوليـدي التحويـلي يُنطلق فيـه مـن أسـفل الشـجرة وصـولا إلى أعلاهـا. وعـلى إثـر اكتـمال التحويـل تظهـر البنيـة السـطحية للجملـة. ويتلخـص مفهـوم التحويـل تبعـا لذلـك في كونـه مجـرّد عمليـة يتـم الانتقـال فيهـا مـن البنيـة العميقـة للجملـة إلى بنيتهـا السـطحية. والشـكل التـالي يوضـح ذلـك:

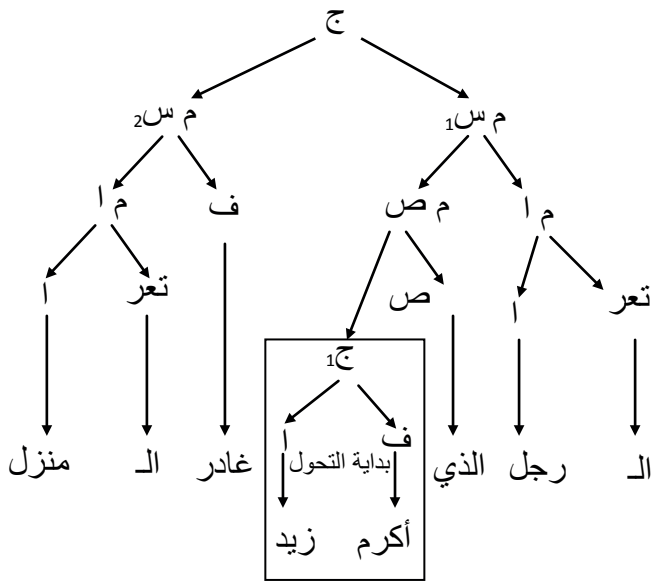

وبالمقارنة بين تمثيل الإطالة في نظرية النحو التوليدي التحويلي قبل التعديل وبعده، يظهر بأن الإطالة كانت تمثَّل في السابق بشجرتين على الأقل، وبإظهار مختلف التحويلات الطارئة، أما في النظرية المعدلة فيمكن تمثيلها في شجرة تراكيب واحدة.

خاتمة

ما نختم به هذا البحث هو ضرورة الإشارة إلى أنّ تشومسكي ربط الإبداعية اللغوية عند الإنسان ـ أي مقدرته على إنتاج وفهم ما لا حصر له من الجمل غير المُحدثة أو المسموعة من قبل ـ بظاهرة الإطالة، وتتجلى حقيقة هذا الربط من خلال اعتبار الإطالة مظهرا إبداعيا في اللغة يعكس الإمكانات التركيبية اللامحدودة للملكة اللغوية عند البشر. ولكن السؤال الجدير بالطرح هنا هو: هل يكفي أن نفسّر الطاقة الإبداعية التي يمتلكها المتكلم بظاهرة الإطالة فقط؟ أم أنّ هناك آليات أخرى لتفسير ذلك؟

الإحـالات

1- ينظر:

A. Hadj Salah. 1979. Linguistique arabe et linguistique générale, Thèse de Doctorat, Paris. T2. Chap. 6.

2- J. Dubois & al., 2002. Dictionnaire de linguistique, Paris : Larousse. 2ème édition. p. 399.

3- N. Ruwet, 1967. Introduction à la grammaire générative, Paris: Librairie Pion. p. 48.

* اشـتهر هوكيـت بإعـادة صياغتـه للمكونـات المبـاشرة في شـكل علـب والتـي سـميت إثـر ذلـك بعلـب هوكيـت.

4- أي وجود عملية ع تطبق على أي عنصر من م.

5- A. Berrendonner, 1983. Cours critique de grammaire générative, P. U. Lyon, pp. 33 - 34.

6- N. Chomsky, 1969. La nature formelle du langage, Paris: Editions du Seuil. p. 128.

7- Voir. J. Nivette, 1974. Principes de grammaire générative. Paris: Nathan. 2ème édition. p. 81.

8- J. Nivette, Principes de grammaire générative. p. 81.

9- A. Berrendonner, Cours critique de grammaire générative. p. 35.

10- Franck Neveu, 2001. Lexique des notions linguistiques. Paris. Nathan. p. 96.

* هـذا الحكـم صرّح بـه عبـد الرحمـن الحـاج صالـح في مقابلـة أجريناهـا معـه، بمركـز البحـث العلمـي والتقنـي لتطويـر اللغـة العربيـة، سـنة 2003.

** تتصـف الجملـة النـواة بأربـع خصائـص لا بـد أن تجتمـع فيهـا: أن تكـون مثبتـة [غـير منفيـة] مبنية للفاعـل [لا للمفعـول] خبريـة [غـير إنشـائية] وبسـيطة [غـير مركبـة]، أمـا الجملـة المشـتقة فهـي فـرع عـن الجملـة النـواة ولكنهـا تختلـف عنهـا اختلافـا كبـيرا إذ إنهـا تعاكسـها في جميـع خصائصهـا، وهـذا يعنـي أنهـا كل جملـة منفيـة أو مبنيـة للمفعـول أو اسـتفهامية أو مركبـة.

* يمكـن التمثيـل للمورفيـمات النحويـة بالحـروف الوظيفيـة (التـي تعمـل في غيرهـا)

كحروف الجر مثلا.

11- A. Berrendonner. Cours critique de grammaire générative. p. 153.

12- N. Ruwet. Introduction à La grammaire générative. p. 159.

13- Ibid. p. 208.

14- N. Ruwet. Introduction à La grammaire générative. p. 160.

15- A. Berrendonner. Cours critique de grammaire générative. p. 153.

16- Ibid. p. 153.

17- N. Ruwet. Introduction à la grammaire générative. pp. 210 - 211.

18- A. Berrendonner. Cours critique de grammaire générative. p.148.

19- N. Ruwet. Introduction à la grammaire générative. p. 130.

20- F. Neveu. Lexique des notions linguistiques. p. 96.

21- A. Berrendonner. Cours critique de la grammaire générative. p.152.

22- F. Neveu. Lexique des notions linguistiques. p. 96.

* يُراجع في هذا الشأن، ما كتبه عبد الرحمن الحاج صالح، لا سيما رسالته للدكتوراه التي عرض فيها مفاهيم ومبادئ النظرية الخليلية الحديثة. يُنظر:

A. Hadj Salah. 1979. Linguistique arabe et linguistique générale, Thèse de Doctorat, Paris.

23- الحاج صالح عبد الرحمن "التعريف بالمدرسة الخليلية الحديثة" بحث ألقي في ملتقى حول تطور اللسانيات في العالم العربي. الرباط. أفريل.1987.

24- N. Chomsky. La nature formelle du langage, p. 170.

** أصبح المكون التركيبي يحتوي على كل البنى المجردة للجملة، وحتى على العلاقات الدلالية القائمة بين عناصرها.

25- N. Chomsky, 1971. Aspects de la théorie syntaxique. traduit par J. C. Milner. Editions du Seuil. p.188.

26- Ibid. p. 10.

المراجع

باللغة العربية

- **الحاج صالح عبد الرحمن**، "التعريف بالمدرسة الخليلية الحديثة"، بحث ألقي في ملتقى حول تطور اللسانيات في العالم العربي، الرباط، أفريل، 1987.

باللغة الأجنبية

- **Berrendonner A.**, 1983, Cours critique de grammaire générative. P. U. Lyon.

- **Chomsky N.**, 1971. Aspects de la théorie syntaxique, La linguistique cartésienne. Paris. Editions du Seuil.

-___, 1 969. La nature formelle du langage. Paris. Editions du Seuil.

-___, 1969. Structures syntaxiques. tra. M. Brandeau. Editions du Seuil.

- **Dubois J. & al.**, 2002. Dictionnaire de linguistique. Paris. Larousse.

- **Hadj Salah A**. 1979. Linguistique arabe et linguistique générale. Thèse de Doctorat. T2. Paris.

- **Nivette J**. 1974. Principes de grammaire générative. Paris. Nathan. 2ème édition.

- **Neveu F**. 2001. Lexique des notions linguistiques. Paris. Nathan.

- **Ruwet N**. 1967. Introduction à la grammaire générative. Paris. Librairie Pion.